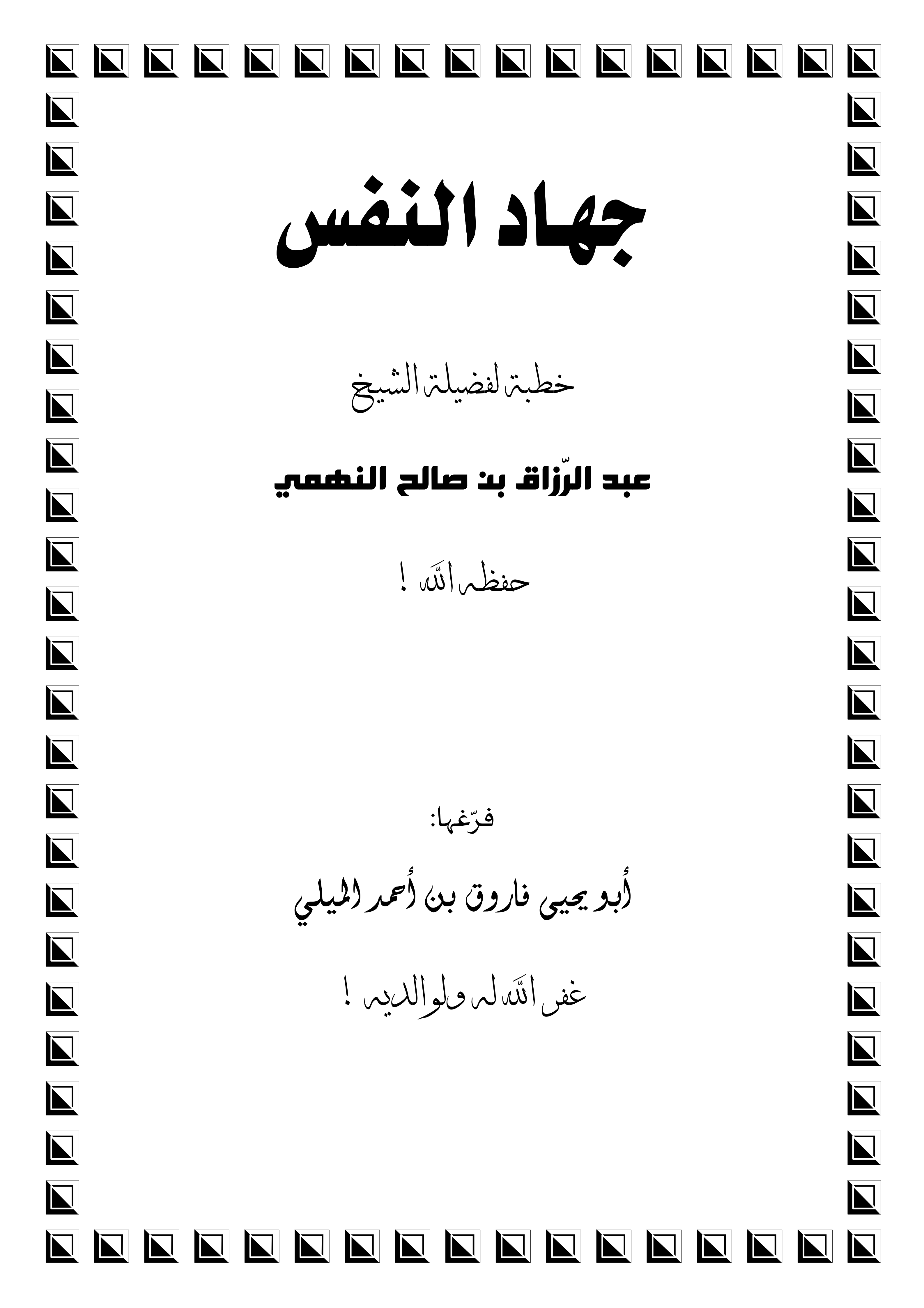


جهاد النفس

خطبة لفضيلة الشيخ

عبد الرّزّاق بن صالح النهمي

حفظه الله !

فرّغها:

أبو يحيى فاروق بن أحمد الميلي

غفر الله له ولوالديه !

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله نَحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالةٍ، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس: إن الله سبحانه وتعالى ما خلقنا عبثًا قال عزوجل في كتابه الكريم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

نعم أيها الناس إننا خلقنا لمهمةٍ عظيمةٍ ، ولأمر عظيم جداً ألا وهو عبادة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦ -٥٧] ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ، وبين الله عزوجل أنه أرسل الرسل لدعوة الناس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء :٢٥].

فإذا كنا خلقنا لهذه المهمة ألا وهي عبادة الله سبحانه؛ والعبادة أيها الناس هي في اللغة: التذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى؛ يقال: طريق معبد، أي: مذلل؛ وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عرف العبادة أنها: اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ فإذا كنا خلقنا لعبادة الله سبحانه، فينبغي على المسلم أن يجاهد نفسه في طاعة الله، وأن يجاهد نفسه في عبادة الله، وأنه إذا جاهد نفسه في طاعة الله وعبادته، فإنه المجاهد حقاً، كما قال النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: "المجَاهِدُ مَنْ جَاهَد نَفْسَه في سَبَيْل الله" نعم؛ أيها الناس هذا هو المجاهد حقاً، الذي يجاهد نفسه ويجاهد ما تريد نفسه، ويجاهد شهوته؛ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم –يقول: "حُفَتْ الجَنَة بِالمكَرِه وحفت النار بشهوات" نعم؛ أيها الناس والذي يجاهد نفسه في طاعة الله وفي عبادة الله سبحانه، يوصله ذلك إلى الصراط المستقيم، والسبل القويم، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأمر سبحانه وتعالى بالمجاهدة في طاعته قال الله عزوجل في كتابه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].نعم أيها الناس؛ إنك إذا جاهدت نفسك في عبادة الله وفي طاعة الله سبحانه تكون من أولياء الله الصالحين قال النبي – عليه الصلاة والسلام – كما في البخاري عن أبي هريرة قال الله تعالى : "مَن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء، أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ ني لأعذنه"، انظر أيها المسلم الكريم في هذا الحديث العظيم الذي بين فيه ربنا سبحانه وتعالى أنه متى ما أقبل العبد على الله سبحانه كان من أولياء الله عزوجل؛ فهذه المجاهدة في طاعة الله والمجاهدة في عبادة الله تورثك أن تكون من أولياء الله سبحانه، نعم أيها المسلم الكريم.

والجزاء من جنس العمل، الجزاء من جنس العمل، إذا أقبلت على الله سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة – تكفل الله بحفظك وبتوفيقك وبتسديدك وبحفظ جوارحك، جاء في الحديث الأخر أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال : قال الله تعالى : "إذا تقرب مني عبدي مني شبرا تقربت منه ذرعا، وإذا تقرب مني ذرعا تقربت منه باعا، وإذا آتاني يمشي آتيته هرولة" نعم أيها المسلم هذا الجزاء من جنس العمل، فكلما أقبلت على الله سبحانه بالطاعة والعبادة، حفظك الله سبحانه، سدّد الله سمعك لا تسمع إلا خيراً، وسدّد لسانك لا تقول إلا خيراً، وسدّد جوارحك لا تتحرك إلا في خير، هكذا تكون من أولياء الله سبحانه فجاهد نفسك يا عبد الله في طاعة الله وفي عبادة الله، وجاهد

هذه النفس الأمارة بسوء جاهدها جهاداً عظيمًا فإن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١-١٠]. نعم؛ أيها المسلم، هذا هو الفلاح وربي أن تجاهد نفسك في طاعة الله، انظر إلى رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كيف كان يجاهد نفسه في طاعة الله؛ جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه" هذا هو رسول الله الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فتقول له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله لمَ تصنع هذا لما تفعل بنفسك هذا؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر !، فيقول: يا عائشة أفلا أكون عبداً شكورا"، وهكذا كان عليه الصلاة والسلام إذا دخلت عليه العشر الأخير من شهر رمضان أحيا ليله، وأيقظ أهله، وشد مؤزره؛ مجاهدة في طاعة الله، مجاهدة في طاعة الله نعم أيها المسلم، جاء في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: "قام النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ليلةً ففتتح سورة البقرة فقلت :يركع عند المائة فمضى فقلت: يقرء بها في ركعة فمضى قلت: يركع بها فمضى ثم افتتح آل عمران فقرآها ثم افتتح النساء فقرأها". انظر هذه الثلاث سور قرأهن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ركعة واحدة قال:" ثم ركع ركوعاً طويل في قدر قيامه وجعل يقول سبحان ربي العظيم، ثم قام قياماً طويلاً، ثم سجد سجوداً طويلا بقدر قيامه"، هذا هو رسول الله -صلى عليه وعلى آله وسلم - الذي كان يجاهد نفسه في طاعة الله

سبحانه، وربنا يقول في كتابه الكريم : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فيا أيها المسلم، أيها المسلم يا عبد الله؛ جاهد نفسك في طاعة الله وفي عبادة الله سبحانه وتعالى فإن ذلك وربي الفلاح العظيم قال ربنا في كتابه الكريم لنبيه محمد -عليه الصلاة والسلام- : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، استمر في عبادة الله، وجاهد نفسك وواصل على ذلك حتى يأتيك اليقين أي: حتى يأتيك الموت؛ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: ٨] نعم؛ فإن المسلم ما يعمل من خيرٍ إلا وجده، إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال ربنا في كتابه الكريم : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، فاحرص أيها المسلم، احرص على الخير قال رسول الله صلى عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك"

والحرص أيها المسلم هو: بذل الجهد والوسع في طاعة الله، أي أن تبذل جهدك ،أن تبذل وسعك في طاعة الله قال عليه الصلاة والسلام: "واستعن بالله بعد أن قال :"احرص على ما ينفعك واستعن بالله" أي اطلب العون من الله سبحانه وتعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس "إذا استعنت فستعن بالله"، ونحن نقرأ في كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فرسول الله عليه الصلاة وسلم يقول: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"، استعن بالله ولا تعجز وإذا كان العجز أشد من الكسل فكيف بالكسل؟ إياك أن تكسل عن طاعة الله فإن النبي -صلى الله عليه وسلم - كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل" ،يقول

ابن القيم -رحمه الله تعالى !-: "الغفلة والكسل أصل الحرمان" أصل الحرمان، فاحذر أن تكسل عن طاعة الله، وأن تتغافل عن طاعة الله عزوجل.

نحن في هذه الأيام أيها المسلمون في عشر ذي الحجة التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب على الله من هذه الإيام" يعني العشر من ذي الحجة قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله يا رسول الله؟ قال: " ولا الجهاد، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع بذلك من شيء" نعم فرصة عظيمة، فرصة عظيمة هذه الأيام العظيمة في طاعة الله في صيام أو في قيام أو في تلاوة قرآن أو تسبيح أو تحميد أو تهليل أو تكبير أو صلة الأرحام أو الإنفاق والصدقة إلى غير ذلك من أبواب الخير، أبواب الخير كثيرة؛ جعل الله سبحانه وتعالى للخير أبواب عظيمة، فجاهد نفسك واحرص أيها المسلم على طاعة الله سبحانه وتعالى.

****

******

***

الخطبة الثاني:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد :

أيها المسلمون إن المسلم إذا أقبل على طاعة الله سبحانه وتعالى فإنما ينفع نفسه كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، فإن الله سبحانه وتعالى غني عن خلقه: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، فأنت إذا أحسنت أيها المسلم إنما أحسنت إلى نفسك وإنما نفعت نفسك، فأحسن يحسن الله إليك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ عليك أن تكون مسلماً حقاً فإن المسلم ما سُمّي مسلماً إلا لأنه مستسلم لله سبحانه منقاد لله سبحانه، وما سميت المرأة المسلمة مسلمة إلا لأنها تستسلم لله سبحانه وتعالى. فنعم،

أيها الناس جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه !– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : قال الله تعالى: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا

ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ" شاهدنا من هذا الحديث العظيم، أنك إن أحسنت فإنما تحسن إلى نفسك، وإن أسأت فإنما تسيءُ على نفسك فأقبل على الله عزوجل أيها المسلم وفي الحديث أيضاً قوله: " يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ " فنحن في حاجة أيها الناس أن نستغفر الله وأن نلجأ إليه، وأن نتوب إليه سبحانه، وأن نقبل على طاعته سبحانه فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، ويقول سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩] . فنعم جزاؤك من جنس عملك أيها المسلم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته والحمد لله رب العالمين.